

تسايح شهادة: لغة العشق..الشهيد القائد الحاج حسان اللقيس



تسايح شهادة: لغة العشق..الشهيد القائد الحاج حسان اللقيس

الشيخ محمد باقر كجك

إنَّها بوَّابة الغيب التي لا تُفْتَحُ إلا في لحظاتٍ يكون فيها دمُّ العشق هو سيِّدَ الأرض.
وبوَّابةُ الغيب هذه، بوَّابةُ أسرار.

"لم أكن لأدفن قلبي في هذا التُّراب.. قلبي غزالةٌ بريَّة".

ثم قبَّل وجنتيه، ويديه، وشمَّ بسمَةً طيبةً في شفتيه، وقال له: "بسمَتُكَ، بُنيّ، لن يمحوها
الزمن..". كان الحاج حسان في تلك اللحظة يعيشُ مشهدَ كشفِ خالدٍ.

كلُّ من جاء من نسلِ البندقية، وسمعَ تسبيحَ السَّماءِ في جبل صافي، وسار في أرضِ لبنان وطرقها
حتَّى ارتسمت دروبها السَّرِّيَّة خريطةً في شبكة شرايينه، ورأى آخرَ الحكايات في عيني شهيدٍ ينزفُ،
يعلم أنَّ الوقوفَ في المئوى الأخير للشَّهيد، هو لحظةٌ من

لحظاتِ الغيب.

كان الحاج حسان، يقف عند جثمان ابنه، يرشُّ مثل الغيم مطراً من الحبِّ والحنين، والفخر، والإحساس
بالقرب من جذَّة المأوى.

هناك شمَّ الحاجُّ رائحة القرب، ورأى مشهدَ الأنس، وأيقن أنَّ علي الرضا يسمع ويرى، ويحبُّ ويعشق،
وينتظر عروسَ الدَّهر.. هناك، حبس الحاج دمعَةً، ولكنه لم يحبسْ شوقَه.. "قلبي غزالةٌ بريَّة،
والانطلاق في المدى لغتي".. لا بدَّ أن يكمل الحاج الطَّريقَ، الطريقُ لم تنته، والفرحُ لم يبدأ بعد.
للغيب لغةٌ صامتةٌ، يعرفها من تدرَّب على الصَّمت، وهجر الصَّجيج.

* لم تعرفوه بحق

العينُ التي تراقب العدو، عينٌ لا تغفو. لا يمكن لها أنْ تغفو، إلا عندما يأمرُها الغيبُ بأمرٍ لا مردَّ له.

العدوُّ منتشرٌ مثل الليل، يتنفسُ غضباً أحمر، وله أيديٌ تحملُ أسلحةً لا تخطرُ في بال أحدٍ.. إلا الحاج حسان، وآخرين قلائد.

كان مكتبةً متنقلةً من المعرفة، وذهناً متحرراً كالأدب من الدعاية، يدفعه همُّ التفوق، ويعشق التحديث، ويرى أنَّ المستقبلَ الرّائع لا يحقُّه ضعافُ القلوب، ولا يبنيه من يخشى المعرفة. قالوا إنَّ الحاجَّ موسوعةٌ في السَّلاح بأنواعه.. وقالوا إنَّه القلب الذكي لبنية التكنولوجيا في المقاومة..

وقالوا إنَّه الذراع الأخرى مع القائد الشهيد الحاج رضوان، فكانا ذراعين من غضب أشعلتا النار في هيكل الخبث الإسرائيلي في تمّوز.. وقالوا وقالوا وقالوا.. وقلت لهم، هكذا رجال، يصحُّ فيهم كلُّ حديثٍ للمجد، وتصدِّقُ عليهم كلُّ صورةٍ للحرية.. إلا أنَّكم لم تعرفوه بحق.

* ومن يعرفه بحق؟

ومن يعرف كم خطوةٍ مشّتْ قدماه، وهو يبحث عن أسرار المعرفة لكي يدفع بسلاح المقاومة إلى العلى؟ ومن يعرف كم دعاءً قرأ، وكم دمةً ذرفَ على كتفهِ الليل؟ وكم لَمَسَتْ يدهُ من رؤوس أطفالٍ يتامى؟ وكم وضع خدّه على شال امرأة عجوز؟ وكم ضحك؟ وكم بكى؟

*خذ حتى ترضى

"خذ حتى ترضى"، تلك هي الجملة التي تُزيّنُ صدرَ المنزل. "خُذْ حتى ترضى" طلبٌ ليس له نهايةٌ في عالم العاشقين! هل يمكن أن يكتفي العاشقُ من معشوقه؟ ألم يُستشهد علي الرضا؟ ألم ترحل آية(1)؟ ألم يُستشهد الحاج حسان أيضاً؟

وقلتُ في نفسي: أي سرٍّ يريد أن يبوحَ به الحاج؟ هل هذه الجملة هي ما سمعتهُ أذناه من بوابة الغيب هناك؟ وقلتُ: العاشقُ لا يسأمُ، والـ تعالَ لا تأخذُهِ مع المحبين سنةٌ ولا نومٌ.. الشوقُ بينهم لغةٌ يقرّطهُ.. وقد ترك لنا الحاج لغته.

لغة العاشقين

على مفرقِ العشقِ كنّا هناكَ، وأخبرَني عن مسيرٍ طويلٍ طواهُ بلحظةٍ

وقلتُ له: لا تزالُ تسيرُ بغيرِ حذاءٍ

وثوبُكَ لا مَسَّ لهُ

ووجهُكَ لا رَسَمَ لهُ

ونبضُكَ لا حِيسَ لهُ

ألا زلتَ تلثمُ جرحَ الهَوّاءِ هنا؟

ألا زلتَ تَمَسِّحُ خدّكَ في شال بعض العجائزِ؟

وقلتُ له: أألستَ تعودُ قريباً؟

وتمسحُ رأسي بكفِّكَ يا حُبِّ قلبي

وتغسلُ ما اسودَّ من وجنتيَّ

وما كسبَتْهُ يداي

وتفتحُ وردةً رُوحِي لأزِّي فقدتُ اللغاتِ طويلاً

وصرتُ إذا ما أردتُ الكلامَ

زرعتُ وروداً

وورديّ لا نُطَقُ له!

فمدَّ يديه إليَّ: ألا تشربُ الخمر(2) في حاننا؟

وتُحرقُ كفسِّيكَ في نارنا؟

وتذهبُ في رحلةِ العاشقين؟

ألا إنَّها خطوةٌ واحدةٌ

ألا إنَّها لغةٌ واحدةٌ

1- ابنة الحاج، وقد توفيت بعد سنة من استشهاد ابنه علي الرضا في حرب تموز 2006.

2- الخمر، تعبير رمزي عن الحب الإلهي، الذي يغسل تعلق العشاق ممّا سوى الله تعالى.

